Mohammed Ahmed Al-Shalkhi

مأتم روح

نصوص

الكاتب: محمد أحمد الشلاخي

نصوص

مأتم روح

محمد أحمد الشلاخي

مأتم روح

هذا اليوم، ماذا حصل لأتقياً قلبي وجعاً؟ ماكل هذه
القاتلة لبوح بصيص أمل في مهده الصغير؟ ماذا حصل
روحي بكل وحشية بمخالب الإحتضار؟ إنني فوق تابوت
الحياة أموت، أموت وجعاً يا الله.

محمد أحمد الشلاخي

تصميم: مها الخفاجي

تدقيق: ياسمين حسين

ISBN: 978-91-892

مأتم روح

تأليف:
محمد أحمد الشلاخي

الكتاب: مأتم روح
المؤلف: محمد أحمد الشلاخي
الطبعة الأولى2020
ISBN: 978-91-89273-42-9
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 2020-10-19-16-49
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، ڤاسترا جوتالند
هاتف0046790185518 :
البريد الإلكتروني:
digitizethearabicbook@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

الاهداء

إلى ذاك الرجل المبعثر في صدري...

إلى عشرينيتي داخل حدود إطاري الكلاسيكي...

إلى حبيبتي "سارة"في الجانب الآخر من هذا العالم على أطراف قصيدتها الخزامية....

إلى صديقتي نور طيارة ....

أرفع هذا الكتاب ....

المقدمة

هنا أنا

كنت ولا أزال

على سطوري الهزيلة.. أركل ألمي أمامي ككرة.. فتنتهي أشواط العمر على هوامش الصفحات..

هناا فقط ..تعلمت أن أشذب حزني كما أشذب زوائدي اللحمية على أطراف أصابعي..

أنا وفي عقدي الأول من عمري وبكل ما أحمله في داخلي من ألم سأُنعى هنا كرجلٍ مبعثر ..

وضعت بين أيديكم في كتابي هذا قبساً من روحي، شيئاً من تمتمات تكويني،

ستنقلكم إلى عالمي المجازي حيث ستلقى عليكم تعويذاتي المأساوية وترفع لكم ستار الواقع إلى رحلة عبر المجهول،

بين سطوري وعلامات ترقيمي سنغوص لنصل لعرش الحزن في غياهب النهايات..

هنا سأضعكم وستنتهي بكم الرحلة على شطآن أحلامي المذبوحة.

دليلُ الحيرة

إنّي تائهٌ بين معارجِ الكون ومشارفِ الطُّرقات، والتقاءِ المسافات، وابتعادِ الأمنيات، ورحيلِ الأحلام

تائهٌ يهذي في ربيعِ الصِّبا بأقاويلِ القلب المَجروح، ليقذفَني الأسى في أعماقِ بطنِ حوت يونس الذي كلّله الظّلام والسّواد، مازلت أجثو في كنائسِ السّلام أُردِّد يا روحَ الله أسعفيني، يا بن العذراء، السّلام منك لقلبي

لِأرحلَ بعدَ بُرهة إلى مِحراب الأمان والسّلام وأسجدَ ثُمَّ أُقيم صلبي وأفتحُ ذلك الفُرقان، ألم نشرح لك صدرك؟

اللّهم السّلام لقلبي، يا ربَّ السّلام أسألك السّلام لروحي الّتي شوّهتها الأيّام، لنفسي السّلام الّتي باتت مليئةً بندبات الهَجر والأذيّة، السّلام منك يا سلام؛ إنّني أُبحرُ في مراكبِ المُسافرين لا أدري متى تكونُ ساعة الغَرق، وذلك النّاي يعزفُ لحن الحنين، فيوقظُ في منتصفِ اللّيل أطفالَ الشّوق الجّائعة لتصرخ من جوعها وألم وجدانها

لا أعلم ما خَطب تلك القذيفة التي خرجت من حُضن المدفع كيف طاب لها الفراق ؟ أوليسَ الارتماء بأحضانِ الحبيب هو الأمان والطّمأنينة؟

كيف تَركتْ ذلك الأمان؟ كيف وجدت الطّمأنينة في إراقة الدّماء وهدم البيوت؟

أشعرُ وكأنّني ملسوبُ الكبد في عمقِ الحياة، أُنازعُ براثنَ الموت الذي انقضَّ عليَّ كأنّهُ نسرٌ استُرسِلَ من كبدِ السّماء ليخنق أوتار روحي

مازلتُ وحيداً في معركةِ الحياة، أصولُ وأجولُ، أغدو و أروح، لأبحثَ عن أبسطِ سُبل الأمل بين طيّات الأيّام

قطارُ العمرِ رحل، ولم يتوقّف في تلك المحطّة الّتي وددتُ النّزول عندها، وعقارب السّاعة باتت وشيكة للالتقاء، إنّها الثّانية عشر إلّا بضع دقائق، حتماً ودون سابق إنذار ستلتقي تلك العقارب وتتعانق عند تمام السّاعة؛ ولكن كيف لنا أن نلتقي ؟

ومتى يحينُ ذلك الموعد؟

القدر.... ؟!

المسافات.... ؟!

الحتميّة.....؟!

التّردّد في الرّحيل.... ؟!

وعدّة أشياء أخرى لا نستطيع ذكرها هي عائق القلب

العشق، هو الانصهار الرُّوحانيّ لروحٍ في عمقِ روح دون تَردّد

هو انعدامُ الذّات في حينِ ارتقاء القَلب لأسمى مراحل النُّضج مع الشّريك.

لا بُد أن يكونَ لكلِّ شيء نقيض، نتعافى قليلاً، ثم نتأذّى كثيراً، وبعدها نموتُ ببطء دونَ أن ينقضَّ الموتُ بكلِّ سرعتهِ علينا

الموتُ إذاً هو صراعُ الحياة في الحياة، هو رحيلُ الحبيب، و تشابهُ الذّات بالوجود واللّاوجود، هو نزيفُ الرّوح الذي يُخرجنا من رحمِ اللّقاء إلى رحمِ اللّحد

ما زلتُ حائراً مُقيّداً مُرسِلاً كلَّ أمنياتي للسّماء، أطلب العون من الإله وإصدارهِ الحُكم في قضيّةِ حيرتي

كُلّنا سنرحلُ ذات يوم، وفي موعدٍ ما، وبعدَ لقاءٍ ما، سوفَ نرحل لنقتلَ بعضنا ببندقيّة الحَنين وقذيفةِ الأشواق، ورصاصةِ الانتظار.

مُنتصفُ كلِّ شيء

مُنتصف المَوت والحياة، مُنتصف السّعادة والحزن، الواقع والحلم، البسمة والبُكاء، هنا أنا

أنا : حالةٌ مَجهولةٌ تعيشُ في الرَّماد والسّوداويّة وتنطوي بقوقعةِ الاكتئاب دونَ مُحرّضٍ يُثيرُ مَراكز الأنا الّتي تعيشُ في شخصيّتي، ما عُدت أريدُ أن أطرحَ سؤالي عليها، من أنا؟

أنا الحزن وكوكبةُ البؤس، أنا الموتُ الذي لا يموتُ، يبقى فقط يحتضر بين الموت والحياة، أعيشُ وكأنّني في سُباتٍ شتويّ يخنقُ عَبَراتي وكيفَ للخانق أن يشعرَ باختناقي؟

أحبُّها ومن حُبّي لها أحببتها حُبّاً جَمّاً و رَوت قلبي بشغفها حُزناً وألماً

وقتلتْ بفراقها بسمةَ ثغري ومَبسمهُ و وأدتْ مَهد صِباي في رمالِ قلبها

أنا الانطفاء والظّلام في عمقِ السّواد، أكتحلُ بالإثمد فيصبغ المُقل بسوادٍ فوق سواد، ها أنا ذا أنحني لأقبلَ احتراق الشّمس لاحتضاني

أجثو حانياً صلبي منذ وُلدت في مهدِ القوّة، كنتُ وحيداً، وبُعثتُ وحيداً وأعيشُ وحيداً، و رُبّما سأموتُ وحيداً

أنا لستُ كابن القدس الذي حاربَ الصّهاينة بقلمٍ من اللّيمون ومعشوقتهُ يهوديّة

أنا لستُ كالذي أشهدَ على بطولتهِ السّيفَ والبيداءَ وهو لم ينزل يوماً لساحاتِ الوغى

أنا لستُ كالذي قتلَ عنكبوتهُ في تلكَ الغرفة وندمَ بعد قتلهِ عندما ظنَّ أنّهُ رفيقهُ الأوحد

أنا كالحنظل مُرُّ الكبد، جَفَّ القلب كصحراءِ الحجاز، وأصبحت الرّوحُ وعرةً كجبالِ اليمن، لذيذ الدم كبلحِ نجد، فظَّ اللّسان كالمُهنّد لا غِمد يحتضنني دونَ مقابل

ها أنا ذا أتنازلُ عن أحلامي وأعرضها الآن في أسواقٍ حجازيّة، لا أريدُ ثمنها أموالاً ولا جواهراً ولا كنوزاً، فقط

أعطوني من الكآبةِ ما لذَّ وطاب منها، قايضوني بها بالوحدة ما عشقته روحي،يا تاجرَ الحزن هات ما عندك من الأحزان، وخُذ قلبي الكليم وكفّنهُ بتلك الأكفان، واتركني أتسكّع فوق أرصفةِ الزّمان، كيف للمنتصف أن يشعرَ بي وأنا مُنتصف كلّ شيء، وكيف للموت أن يشعرَ بموتي وأنا الموتُ والاحتضار، دعوني أحبو في غياهبِ الانعزال، أُردُّد وجعي نغماً أُطربُ بهِ قلبي المذبوح، وتتراقصُ عليه أوتارُ روحي المُحتضرة، دَعوني ولا تقتربوا فموتي يحملُ الوجهَ ذاتهُ، وذات الطّعم، لا جديدَ سوى تواريخ الأرقام تتقلّب يوماً بعد يوم، دعوني أموت كما ولدت، وكما عشت، وكما سأُبعث، مُنتصف كلّ شيء وأموت بين كلِّ شيء، بلا أيِّ شيء.

احتضارٌ من نوع آخر

الشُّق الأيسر من جَسدي عبارةٌ عن هيكلٍ عظميٍّ فارغٍ نَحتهُ القدر، وامتصَّ دماءَهُ ذلك الزّومبي، وأعصابي وشراييني سرقتها عنكبوتُ ديستوفيسكي لتبني بِها عُشّها في زاويةِ ذلك

الكهف، وقلبي... تبّاً لقلبي سرقتهُ فتاة، أجل أجل فتاة ليست ككلِّ الفتيات، إنّها هناء، فتاةٌ جامحةٌ في طموحها، فَذّةٌ، ولا سيما في اتّخاذِ قراراتها، جميلةٌ كأنّها ياسمينة دمشقيّة، فتاةٌ مجهولةٌ لا أدري كيف ومتى وأين ؟

أحتضرُ شوقاً وحنيناً لها، أحتضر كأنَّ قلبي يخرجُ من تحت أظافري؛ نزيفٌ روحيّ مازال يُغرقني بسيلهِ ويقذفني في قاعِ محيط العشق، وقَدما قلبي تنغرسان في وحلِ الحنين، بلغ الشّوقُ منّي ما بلغ ذو الفِقار من رِقاب خيبر، عظامٌ انتظمت برصانتها و وصفها كأنّهُ كهفٌ تزيّن بسوادِ ظلامهِ بنارٍ حمراء لوّنتها دماءُ العاشقين

مازلنا نبحثُ في هذهِ الدُّنيا عن الحب، أجل الحب الذي يسمو بأرواحنا من عالمِ اللّاوجود للوجود، الحب الذي يجعلنا ننتشي بالأحاسيس السّامية، العُذريّة، الرّاقية

ها نحن ذا نطوفُ حولَ قلوبِ من نحب دونَ لقاءٍ، كأنَّنا حُجّاج بيت الله، يطوفون ليُتمّوا أركان حَجّهم، بينما نحنُ نطوفُ لنُتمَّم أرواحنا، لنعطيها مُكمّلات العيش بفراقِ هؤلاء الأحبّة، نطوفُ حولَ قلوبهم لنُخبرهم باحتلالِ الأشواق لمعابدِ قلوبنا، لنخبرهم كيف دنّس اللّيلُ صفاءَ لقائنا بسوادهِ المشؤوم؛ لقد رحلت تلك الرّيحانةُ واختفت عند بزوغِ شمسِ

العشق فوقَ رابية قريتي، توارت عن ضياءِ الغزالة عند إشراقتها حيّيةً من وضاءةِ وجنتيها اللّتين سَلبتا اللّبيب من لُبّهِ وجحره

متى ستعود لا أعلم، تركتني هناك أحتضرُ عند شجرة الزّيزفون، تكادُ روحي أن تصعدَ لِتخرجَ من مؤخّرة رأسي، نزيفٌ حادٌّ أصابَ كلالة جسدي، قلبٌ كأنّهُ عصفورٌ يختنقُ رويداً رويداً، وجثّةٌ هامدةٌ بتُّ أنطوي عند جذع تلك الزّيزفونة، أتحسّسُ بأناملي سُكونَ الكون كلّه باحتضاري، أظنّهُ أحنى صلبهُ احتراماً لجشاعة الاحتضار في نزعِ روحي بعد رحيلها، تبّاً عندما وددتُ قربها قرّرت الرّحيل، حينئذ سُكبت حِمم براكين أندونيسيا في عُمقِ قلبي وفوق عرشها الّتي تربّعت عليه وبداخله، إنّني أحتضرُ بإشراقةِ الرّبيع، أحتضرُ بسقوطِ أوراق أيلول، أحتضر بوهجِ حُزيران، أحتضرُ ببرودةِ كانون الثّاني، أنطوي لنفسي وكأنّني في فراغٍ مُفرّغٍ من كلّ شيء، من النّسيم، والسّعادة، الحياة، البساطة، من الأهل، الأحباب، حتّى أنّني مُفرّغٌ من نفسي البائسة.

أجل، إنّهُ احتضارٌ من نوعٍ مُختلف خارجٍ عن المألوف، احتضارٌ بنكهةِ الموت دون الموت.

وَصَبُ الرُّوح

حَلّت فاجعةُ القلبِ مُتبخترةً بينَ حنايا الرُّوح، تتراقصُ مُنتشيةً كأنّها عذراءٌ في عقدها الثّاني، تتراقصُ مذبوحةَ الحَشا فوقَ حلبة الرّوح، إنّه الفراق

البُعد

الأسى

الفجيعة القاتلة

رُوح الوجع

وَصَبُ القلب

احتضارُ النَّفس

وكثيرةٌ هي الأحوالُ المُتقلّبةُ بتتالي الحزن في خضمِ وحدتي القاتلة

أُكفكفُ دمع العينين الصَّغيرتين، أجثو كأنّني عجوزٌ تقوّسَ ظهرهُ من قذائفِ السّنين الغابرة، كأنّني عصا سليمان نَخرها السّوس وبدأ الحزنُ يتناولُ من عافيتي، أيُّ فاجعةٍ حلّت بقلبي؟؟!!

رحلة الحُزن بدأت لِتوّها، تطرقُ بابَ الطّائرة لتسافرَ بي في فصولِ سنينها، لِتُزهرَ وتتشقّق وتتساقطَ وتنبع بكلِّ أحوالها وقواها النّوويّة، هي كالعَلَق تمتصُّ صحَّتي وتُذيبُ عافيةَ بدني، لا هروبَ منها، لا حُلول مطروحة فوقَ طاولةِ القدرِ لِتفاديها

مازالت أبوابُ الهروبِ موصدةً كأبوابِ فِرعون، يوسُف افتتحها لأنّهُ نبيّ، وأنا ما زلتُ أُوصدها لأنَّ القدر أقفلها بصرامةِ تقديراتهِ كوني صُعلوكٌ أتسكّعُ في طرقاتِ الحنين كلَّ مساء

أتسكّعُ وأطرقُ بابَ الكبرياءِ لينحني عندَ أوّلِ كأسِ خمرٍ يُذهبُ عقلي، وَصَبُ القلبِ باتَ ضيفاً ثقيلاً، ما عاد يتلذّذُ بالرحيل باتَ يقطنُ في غياهبِ الرّوحِ وكأنّها إرثهُ الذي ورثهُ من والديه، ها أنا ماعدتُ أنا، وصِرتُ رهينةَ الحزن كلَّ ليلة دونَ فديةٍ أفتدي نفسي بها إلى ميقاتِ يومٍ معلومٍ باقٍ بديمومتها.

قاتِلُها يَعتذر

آثمٌ أنا يا ريحانةَ العُمرِ في تغلغُلي خلايا الجَّسد
ما وَجدتُ مسكناً يُثقلُني بالأمان مثلَ أحضانكِ الرّقيقة
مُجرمٌ أنا، قاتلٌ مأجورٌ كان جُلّ تركيزي قتل تجرّعي
وقفَ السُّمُّ مُتحدثاً هكذا وتابعَ، وكلّهُ ندمٌ
تَذوّقَتني بشفاهٍ خمريّةٍ حتّى فيهنَّ ذبتُ كالسُّكر؛ دخلتُ حدودَ وطنٍ يتربّعُ الأمانُ فوقَ عرشهِ، ليسَ كوطنِ القوارير
تغلغلتُ في بلعومها وسرتُ بسلاسةٍ لمعدتها دونَ ثبور
آثمٌ أنا، اتّخذتُ من تضاريسِ أنوثتكِ مُستقرّاً وقراراً لجرائمي

وقَفتْ الرّيحانةُ مُثقلةً ترنوهُ بمقلتين نصفِ مطبقتين قائلةً :
كنت الرّحيم لقلبي من عذابٍ ليسَ لهُ مثيلٌ في دُنياي
أهلٌ شقّوا ثيابَ روحي لجزأين فمنهم ثكلوا طفلتهما

يا سمُّ ما سممت خلايا الجّسد، فسمُّ الأهلِ مخلوقٌ منذُ ولادةِ الولد

لاتندم وأنا من فعل، لاتُشعرنَّ نفسك بالذَّنب وأنا من قتل

مُتلطّخةُ الرّوح، مُنكسرةُ الرُّؤى يا نديمَ الكأسِ و الفقدِ، كلاهما احتضنَ الآخر وبدأا بالبُكاء معاً، قَتلا بعضهما دون سابقِ إنذار

تجرّعت الرّيحانةُ القاتلَ فأوصلها لمُبتغى روحها

غيبوبةٌ سكنت رأسها وغابَ العَقلُ والحسُّ للأبد

سمراءٌ بسوادِ اللّيل تكحّلت و أذابت قهوةَ الصّباحِ فوقَ وجنتيها، وارتشفَ من لذيذِ قهوتها القمرُ الأوحد

عيناء جميلةُ المقل كأنّها المَها تصولُ بغاباتِ الطُّفولةِ بلا سند

حيّيةٌ كأنّها العذراء في خِدرها حياءً منّا تخدّرتْ

و الموتُ سرقَ زهرَ عمرها قبلَ العقدين واحتضنها اللّحد للأبد

تجمّلتْ بالعفاف، وماتت وحياؤها قدوةٌ تحتذي به فتيات البلد، آنس الله وحشةَ قبرها وظلامهُ

اغفر لها ربّاهُ في ريعانِ الطّفولة عادت تشكو همَّها للرَّب الرَّحيم

تغمْدها بكنفِ رحمتك فلا رحمن سواك ولا رحيمَ للرُّوحِ سواك

اللهم رحمةً وغفراناً يُحيطان بها

مرضُ الرَّحيل

وذمةٌ قلبيّة

ذبحةٌ قاتلة

حُمّى مُستوطِنة

ضغطٌ شريانيٌّ هائلٌ؛ تكالبت أمراضُ الزَّمن، وتتالت ازدراءاتُ القدرِ على الغَضِّ من ربيعي، استوطنتْ كأنّها منفيّةٌ من بلادها، وأعلنتْ إقامةَ دُويلتها اللّعينة في زهرةِ شبابي

مُستسلمةَ النَّفس، شرعيّة الهُجومِ باطلةٌ وقراراتُ الدِّفاعُ هزيلةٌ

هشٌّ ذاك الجَّسد، ذئبٌ شاخَ قبلَ أن ينالَ العمرُ من سنينهِ

إنّي أحبُّها دون سِواها، وفراقُ عينيها سببُ أمراضي واعتلالي

وفي حينِ غَرّةٍ رحلتْ، توارت خلفَ الشَّاهقات، واختفى أثرها دون أثيرها

عقاقيرُ الطّبِّ تَعطّلت خاصيّتها، أطبّاءُ القلبِ أثبتوا عجزهم، وعلاجاتهم ظَلّت عاجزةً تبكي عندَ عَتبةِ بابِ الاستسلام

حُبٌّ مُهشّم

لوعةُ فِراق

ذكرياتٌ قاتلة

عشقٌ من السّهلِ المُمتنع

وأعذارٌ ترفضها المسامع ،و ارتجاف الحُمّى الزّائرة ذاتَ ليلةٍ لجسدي .. لا تكن عاقّاً لقلبي

أفَلَ الكرى عن مُقلتي، مُضطربَ الخفق، ما زارني الوسنُ في ليلتي، بلغ النَّصبُ منّي ما بلغه البتّارُ من غمدِ أحشائي، لا مُوئل لي أحتذيهِ بصبابةِ قلبي، نميرُ حبّها صارَ أُجاجاً يُنَغّصُ ظمأ قلبي، وسمائي حزينةٌ لا مُزنها كريمٌ ولا هُطولها غزيرٌ، كلُّ مافيها مطرٌ قليلٌ، تناثرَ هُنا و هُناك

رماجُ السّنونو حزينٌ في يومي هذا، أيعقلُ أنّها حزنتْ لِحُزني؟

وأنتَ هُناك لا تُبالي لوجدِ فؤادي، حُبّكَ مُرٌّ أستسيغُ شرابهُ تارةً وتارةً كاللّيمون يضرسُ فاهي

اكفهرَّ ليلي على غيرِ عادتهِ، و ازدادَ سواداً فوقَ سوادهِ، كنتَ قمراً يُبهجُ ليلتي، بقربك ليلي أبلقٌ يا قمري، ولكن هيهات من ذا يُنير ظلمتي؟

يا حصيفَ القلبِ أكرمني من كرم هواك، أثقلني بجودك وعطاءك ولاتهجر ودِّي، بلغَ الوسنُ منِّي حتَّى أطبقتُ عيناي مُستسلماً، هلّا أيقظتَني ببسمة فاهكَ وترانيم عشقك

هلّا أطربتني بريتال تلاوتك في غسقِ ظلمتي؟!

اسكبْ طمأنينة اللِّقاء في قلبي، لا تذرني وحيداً يستسيغُ الفراقُ هشاشةَ ضعفه، هلّا سكبتَ الودقَ من علياء السَّماء فتثمر بوابلِ عطاءكَ أرض روحي؟ كالبيداءِ صيَّرني فراقكَ يا ودَّ قلبي،

مُتصدّعاً

ظمآناً

مُتعطّشاً

مُكفهرّاً

مُصفرّاً

تائهاً

يائساً

بائساً

جاسَ الحزنُ في عمقي، وجيشهُ عسكرَ في مُهجِ القلب

تالله ماعدتُ قادراً على استلالِ المُهنَّد من الغمد

ارحمني فوصالك رحمةٌ، وبُعدكَ شقاءٌ لا يقواه قلبي

يا حبّاً نمى، حَبَا وكَبُرَ في أحضاني، هلّا كنتَ يافعاً بارّاً بأمومةِ عشقي؟

بُرّني ولكَ رضا قلبي، لاتقلْ لي أُفٍّ و تؤرق مقلتي، ارحمني وارحم بهجركَ ضعفي.

من هي؟

صديقةٌ رائعةٌ، لاتخونُ عهدها معي، جميلةُ اللّقيا، لا تحزن

كانت وما زالت الأصدق والأكثر صدقاً بديمومتها وارتباطها بي

لم تخذلني يوماً، تربّعت فوقَ عرشِ كينونتي وذاتي، ألقت بشباكها لتقبضَ جسدي، روحي، عقلي، أفكاري، قلبي، شغفي

بصري وبصيرتي، واستحوذتني بتعويذةِ البقاء دون أن تُرتَّل آيات الخلود

أيقظتني

نكزتني بعصاها

ابتسمتْ، اعتلتْ فوق مُحيّاها بسمةٌ خبيثةٌ، ثم أطرقت قائلةً :

من أصدق منّي قولاً، وأوفى عهداً، من صديقك الصَّدوق الصَّادق؟

بدأتْ تَتجوّلُ في غرفتي المُكتظّةِ بنحيبِ اللّيل ودمعِ الحزن، ثم قالت بنبرةٍ يشوبها الحزن : كلُّهم خذلوك وأنا بقيت، ما أنتَ باقٍ

سأصون عهدنا ما دمت حيّةً

لن أخذلك، وسأبقى لك وبينَ طيّاتِ جبينك ماحيّيت، هذا عهدي لك

أسعدني قولها جدّاً، وتراقصَ قلبي من طرب صدقها

أجل، هي وحدها من بقيتْ معي،لم تخذلني، لم تنقض عهدي، لم تغدر بي، بقيتْ، استحلّتْ، تمكّنتْ، وحافظتْ.

أتدرون من تكون؟؟

صاحبةُ أجملِ عيون

صديقتي في زمن الجُّنون

أنيستي في ليلِ الزَّاهدين

فرحتي في لقاءِ المُسافرين

وبسمةٌ في بكاءِ الرَّاحلين

إنَّها (العُزلة)، أجل هي، لاسواها من الإنس ولا الجان

ما سواها أحدٌ أكثر صدقاً في هذا الزَّمان

حبيبة القلب هي، وهديّةُ الرَّحمن

حافظة الودّ، أعرفتها يا إنسان؟

شهيدةُ قلبي

هنيأً للحبِّ بكِ، كم هو سعيدٌ حين اختارَ سُموَّكِ أميرةً على عرشه

لبّى نداءَ الحكم إذ خلا، وبعظيم جاهٍ وأسطورةٍ تمَّ تتويجها أميرةً، آمرةً ناهيةً، قاضيةً، سيّدةً، فيكِ تباهى الحبُّ بزغرودةِ الانتصارِ

عمَّ الرَّبيعُ بفيحاء زهورهِ، ونثر فوق ثنايا مُحيّاكِ شذى ياسمينه

تراقصتْ بلابلُ الأشواقِ، وأطربتَ بلذيذِ أنغامها قلبي، واستباحَ الهجرُ بلاط أميرتي

وغزا جيشُ الفراقِ مواطنَ حبيبتي

أَبَتْ بكبريائها أن تُطلق راية الخُنوع لِغُزاتِها

قاتلتْ ،استبسلتْ، وفوق تراب قلبي أَطفأ دَمُها ظمأَ شَغفي

هي باقيةٌ، أبديّةٌ، سرمديّةٌ، أزليّةٌ في تاريخِ هيامي

شهيدةُ قلبي، فدائيّةُ معركتي، حوريّةُ جنّتي

أتدري من هي يا قارئ كلماتي؟

حبيبةُ القلبِ، سيّدةُ الهوى، قمرُ ليلتي، أنيسةُ وحدتي لفافة تبغي هي، أطلقت عهد الأُخوّة لدمي وعانق تركيبها شغاف قلبي، وأدمن دخانها أوردة رئتي

طلّقتها ثلاثاً ثم طَعنتُ عند قاضي الإدمان قرار طلاقها، أضناها فراقُ الشِّفاه إذا ما تعانقت بمُحيّاها

رمادٌ، احتراقٌ، لهيبٌ، شوقٌ، وفراقٌ أوهنوا قوّةَ شذاها

كدتُ أموتُ مئةَ مرّةٍ لو متَّ دون أن ألقاها، شهيدة القلب فلله دُرُّ من سوَّاها جميلةً، بهيّةً، حبيبةً شغفتْ بلذيذ تجرّعها حنايا فؤادي

لا تُطلّقها، أرجعها، اتركها في خانةِ العشق، فلا عشقَ يتمجّدُ دونَ مُزنِ دخانها

اتركها، و عُد لأحضانها كراقصٍ يطربُ بلذيذ عناقها و يتمايل.

أنت ...

سوادُ الظُّلم خيّمَ بينَ حنايا الصّدر ثُمَّ طَغى سوادُ الشُّؤم وتراقص مُتباهياً، ويُؤسفني حالُ هؤلاء ممَّا تخطُّ أقلامهم عن حزني

قرأتُ الكثيرَ من النّصوصِ الأدبيّة، والشِّعر العموديّ، والمقالات، وما زالت روحي مُتعطّشةً لألفِ ألفِ كتاب لأتجرّع منهُ طُهرَ زمزم

مازلتُ أُسافرُ بين الصّفحات الزّرقاء الفيسبوكيّة، الماركيّة، هنا و هناك في كلِّ حين، يستوقفني خبرٌ مضمونهُ القتل والخراب، وتلفتُ انتباهي صورةٌ لفتاةٍ تتباهى في استعراضِ مفاتنها، ويشدُّني وأكثرَ ما يشدُّني قراءةُ نصوصِ كُتّابنا الصّاعدين، بل أنا مشغوفُ القلب لقراءةِ نصوصهم وماخطّته أقلامهم، حتّى قتلوا ذلك الشَّغف بدواةِ حبرٍ فارغةٍ، وأراقوا دماءً فوقَ الصّفحات البيضاء الّتي هجرها أدباؤنا المعاصرين الصّاعدين

كلّهم حزينون، مُتعطّشون للحب، مكلومةٌ هي قلوبهم، حزينٌ صريرُ أقلامهم، مُظلمون، مُتعبون، يبكون، يشتكون، يتأسون، كلُّهم طغى الظُّلم عليهم دون غيرهم، بل ما عدتُ أعرفُ في هذه الدنيا من هو الظَّالم؟

بحثت في غوغل، وعلى مواقعِ السّوشيال ميديا، والمواقع الإلكترونيّة ليصدمني الجّواب بقوّةِ بلاغتهِ وجزالةِ حروفهِ المُتراصّة المُتلاصقة، المُختصرة، القليلة، القويّة، النّديّة، الشّهيّة، البهيّة التي ارتبطت حروفها ببعضِ حروفٍ قليلة

تلك الفتاةُ تبكي، قد خانها ذلك الحبيب !

وذاك يشتكي خانتهُ تلك المحبوبة !

وذاك يكتبُ عن ذكرياتهِ مع صديقهِ الذي خذلهُ !

وذا يكتبُ عن قلقهِ و وحدتهِ وكآبتهِ

وهذا يكتبُ عن حزنهِ وذكرياتهِ وألمهِ !

نلاحظُ أنَّ كلَّ النُّصوص مضمونها الحزن والألم، فمُرادها واحد، وغايتها واحدة وهي إيصال حجم المعاناة للقارئ، وهم تبارك من سوّاهم قد غلبوا الأطفال في براءتهم وعذوبةِ قلوبهم

نعود لغوغل والسّوشال ميديا المُتفجّرة بجوابِ السؤال من هو الظّالم

من هو الطّاغية؟ من هو المُتعجرف

من هو الذي استباح حُرمات قلوبهم ومشاعرهم؟

تركتُ غوغل وذهبتُ لأبحثَ هنا وهناك فلم أجد أحداً يعلن بأنّهُ أمير الظُّلم، يرتقي بتاجِ الإمارة والظّلم

لم أجد سوى جواب غوغل عندما نطقَ ضاحكاً الجّواب هو " أنت"

تبّاً أيُعقل هذا؟

كيف؟

أيُعقل أنّني أنا الّذي استباحَ وقتلَ وأبكى وشرَّدَ وخذلَ الحبيبَ وتركَ الصّديقَ، يُضحكني ذلك جدّاً

بل يُشرّفني بغرور، أن تنصاعَ آلافٌ مؤلّفة من البشر تحتَ رايةِ ظُلمي، وتحت قُبّة قصرِ طُغياني، ليتمجّدوا ببراءتهم وحزن قلوبهم الطيّبة أجل، أنا الظّالم فقط أنا ولا أحد سواي في هذه الدُّنيا، ولن يكون هناك غيري سموّ جلالتي أميراً للظّلم في بلادِ العرب

كفاكم باللهِ عليكم، قدّموا ما يفيدنا، انسجوا من خصوبةِ خيالكم ما يُحاكي واقعنا المُزري، تكلّموا عمّا يفيد أجيالنا القادمة، ولا ريب من انبلاج القلم بأمورنا الشّخصيّة لكن لنترك فرصةً ليراعنا كي يحيك آلام واقعنا، لنطلق عنانهُ ويكتبَ ظلم كلِّ شخصٍ فينا، ليكتب عن ظالمهِ، ومن ظلمهُ، ليكتب ظلمك أنت يا صاعد، أطلقوا العنان ولاتكونوا عقيمي الخيال

لا تكنَّ عاقرات الأرحام الفكريّة، لا تكن يا صاعداً عقيمَ التّفصيلات اليومية أطلقوا عنانَ الحق ،وصوتَ الحق، وكلمةَ الحق، فإمّا أن نعيشَ بصدق، أو نموت بعزّة الصّدق.،

عجوزُ الشّباب

عِشرونَ ألفَ عامٍ صارَ عمري، وستّمئة فوقها تُضيء بياضَ شعري

ثلاثمئة شهر، وأقفزُ إلى مظلّة عمري السّابعة والعشرون ألف عام

خرائط الدّول برسوم تضاريسها وأنهارها ارتسمت فوق جبيني، وخشونةُ صخورها طُبعتْ فوقَ كفِّ يدي

أنهارٌ خطّتْ مجاريها فوق جبيني من أيسرهِ إلى يميني، لا صخور تعترضُ سيرها، ولا فضلات بشريّة تشوب مياهها.

أثلجَ العمر صبا الرُّوح ببياضِ المشيب، حتّى صيّرَ شعري كقطعةِ قطن بيدِ طبيبي

فوقَ منابعِ الشّباب تلاشت معالم الصِّبا، وانهارت ممالك القوّة، وفي بسمتها رسمَ القدر الخلجان ورؤوسها

عشرون ألفَ عامٍ من الحرب بين الصِّبا الأنا والذَّات، حربٌ لا نورَ فيها ولا نار سوى بقايا رماديّة اصطبغت بسوادِ رأسي

عكّازي ما عاد من خيزران، وما باتَ ليلتهُ ليصنعه النّجار من السّنديان، بتُّ أتعكّزُ على حزني، وأتّكئُ فوقهُ، فلا يهواه السُّوس ليتغمَّد باطنهُ ويحتضنَ قلبهُ، لينهارَ ويُسقطني عند حافّة الموت كي لا أعود

أتأبّطُ في يساري قوّة اكتئابي، وأسندُ بيمناي يراعَ أحلامي الورديّة، (أحلامي الوردية) كلمتان أضحكتا فاهي، قهقهتُ بسماعهما عندما خطّهما قلمي، كيف للورود أن تكون في أوجِ شذاها في شيخوخةِ عمري؟

ها هو الصَّيف قد خذلهُ حرّهُ، وفي معجزةٍ كونيّة تساقطت ثلوج الشّتاء، وراءَ الذّاكرة الوهميّة، ارتسم طيف تلك الشّمس، وفي عمق الواقع هطل الثّلج ليزدان بهِ ربيع عمري

ثوبُ الشّيب والشّباب ارتديتهُ، فكان غطائي، وفراشي، ووسادةَ أحلامي المُهترئة، أجفان المقل خانها ربيع القدر، تجعّدتْ، وترهّلت، وسيوفها الدّمشقيّة الّتي طالما حاربت

شراسة العرق كي لايغزو المُقل، وكساها بياض الأكفان قبل ارتحال الرّوح من الجسد.

عشرون ألفَ عامٍ من الحزن، وثلاثمئةِ عامٍ من الدَّمع، وعمري إذا ما جبرناه جبراً رياضيّاً لصارت نتائجهُ عامٌ من الحزن، وشهرُ فراق ويوم كآبة وساعة سوداويّة، ودقيقة الاحتضار، وثانية البكاء، ولحظة الاختناق

عجوز الشّباب، وينابيعُ العمر من صبا روحي يباب، وزهور الرَّبيع في ثنايا جسدي أغلقتْ في وجهي ذلك الباب

ارتحلتُ جسداً إلى لَحدِ الفناء، وطيفاً ظلَّ يُصارع الموتَ بقطراتِ الماء.

حرقةٌ في الرُّوح

استفاقَ القدر مُجدّداً، ثم غفى، ثم نهض سارقاً لِروحِ أمّي و أخذها حيث أبواب الخلود، وفتحت أحضانها لتتغمَّد روحها الطّاهرة

خلدَ القدرُ لغفوة ،ثم ارتعدَ مُتقهقراً ينشدُ أنين احتضار والدي، ضمَّ خشرجةَ صدرهِ بقوّة، حتَّى فارقَ الحياة، وذهبتْ روحهُ لغياهبِ البرزخ تتلوّى بحرقة الفقد

بَصقتني الأيّامُ فوق أرصفةِ الطُّرقات، أجولُ فوقَ حاوياتِ القُمامةِ و أسرقُ من قطط اللّيل عشائي، وأتعاركُ مع نُباح الكلاب الشّاردة لعلّ عراكَ يُتمي يجلبُ الأمان الذي سرقهُ قدري

كنتُ أفترشُ الأرضَ فراشاً، أحتضنُ ذاتي ببردِ ثُلث اللّيل الأخير، أنطوي فوق حذاءٍ تملؤهُ الثُّقوب لأتوسّدهُ ويُعانق بثقبهِ دمعَ المآقي، غطائي السّماء، ونجوم اللّيل رفاقي، والقمر والدي الذي ما جفَّ نور روحهِ فوق خيالي، ها هو ذا يأخذني بثيابي الرّثة للقدر ليرتمي جسدي فوق فراش ملاجئ الأيتام، مربيّةٌ فظّةٌ غليظةُ القلب، انفضَّ من قلبها الأمان، وسرق تعجرفها الطّمأنينة منها، و وَأدت القسوة أمومتها فوق جُثث اليتامى

مازلتُ أعاني منها ما أعانيه كأنّها جمرةٌ سقطت من موقدِ الشّتاء فأذابت سجّادة الدفء العائليّ، أصرخ بصمتٍ مطبقٍ حتّى كدتُ أحسب الموت يقاسمني صراخي، فيبكي لبكائي،

ويلطمُ وجنتيه لسرقتهِ مأوى أحلامي، ثم يتبجّحُ مغروراً بعذاب حالي،

و يقتلني حنيني لأحضانِ أمّي الرّؤوم، ويُمزّقني ضعفي لأشلاء اشتياقي لوالدي المرحوم

يتيمُ القلبِ، وحيدُ المنبتِ، مقهورُ الرّوح، مكسور الرُّؤى، مُحطّم الكيان، مُتصدّع البُنيان، مهزومَ الأحلام، مقتولاً فوق مقعدي وقلمي وكراس السّلام

مازال اللّيلُ يرثي حال تيتّمي، ويرتدي ثوبهُ الأسود، فيشقُّ القمرُ صدرهُ بدموعٍ تتلألئ بصراخ اليتامى، وتتشظّى بنواح الجّائعين،

كم اشتقتُ لأناملِ أمّي ربّاه حين تتخلّلُ أناملها في شعري أثناء شطفهِ آهٍ كم اشتقتُ لوالدي حينَ يُمسك يدي ويبعثُ الأمانَ من روحهِ إلى قلبي ويوصلني لمدرستي

مدرستي التي أموت شوقاً لها، آهٍ، حرفان يطحنان عظام الصَّدر طحن الرَّحى للقمح رَماني الزّمانُ فوق ملجأ اليتامى، وسكبَ فوق جروح جسدي ملح الولائم، ونظّفني بزيتٍ مغليٍّ من موائد الأيام مازلتُ أعاني من احتضار روحي كلَّ مساء، وتزداد عاطفتي رهبةً من عصا تلك المُربيّة، لقد تصبّغ

جسدي بالدم الفاسد من قسوتها وضربها، وصار مرتعاً للدّود وأنا على قيد الحياة أموت

يتيماً، مقهوراً، مُشرّداً، مكسوراً، مُحطّماً، مجروحاً، مُتألّماً، شاكياً، حاكياً، كاظماً كلَّ قهري فوق حنجرة الموت، وها أنا ذا أموت لأحيا فوق ظفائرِ الموت.

غفوةُ حلم

تراكمٌ في الأحلام، وعدّة أمنياتٍ لا تعقيدَ فيها، بساطةُ حلمٍ، وشيءٌ زهيدٌ يُطالبني بهِ قلبي، وتهتفُ لأخذهِ روحي، لا شيءَ باهظ الثّمن، لا شيء، والله لا شيء، لا أرغبُ في جاهٍ زائل، ولا مجوهرات من عمقِ المُحيطات، ولا أحبّذ مالَ قارون ومُلك سليمان، فقط أريد وأرغب وأحلم بلحظةِ نعيمٍ واحدةٍ أغفو بها فوقَ كتفِ حبيبتي، فقط لِأغفو بأمان لبُرهة بينما يأتي مَلك الموت ويسرقني من غفوتي وأصعد للسّماء بطهرٍ، وبراحةٍ لم يعهدها شابٌّ مثلي من قبل

غفوةٌ صغيرةٌ هي حلمُ شابٍّ في ريعان صِباه، تبّاً إلى ما آل إليهِ الزّمن من حالٍ لأحوالنا، أريدُ حبّاً بعيداً عن صراخ

الحرب، بعيداً عن رائحة الدم، بعيداً عن التّعقيد والتّخلّف والانحطاط

كم وددتُ أن ألهو معها منذ صغرنا فوق غيوم السّماء، نكبرُ هناك فوق نجمِ سُهيل، ويترعرع حبّنا بينَ الغيوم، ونسقيه من ماء العرشِ الرّبانيّ، مدى الأزل والدّهر والحياة، هناكَ وددتُ أن يكبر حبّنا، بعيداً عن رائحةِ البشر بأفكارهم النّتنة، وانحطاطهم القاتل، بعيداً عن صوتِ الرّصاص، وركامِ الدّمار، وصراخِ المدافع، وشظايا الإنفجار، ألا ليتَ الكون علبة كبريت أفتحها متى شئت، لأهرب منها مع تلك الدّمشقيّة المُشاكسة، وأعيدُ اغلاقها من جديد ونصعد لنجلس فوقَ القمر، لا لا أحبّذُ القمر، لقد صار مقصد كلّ العشّاق، لنذهب إلى هنااااك، إلى الزّهرة لابأس بالبرودة هناك فحِمم العشق تُدفّءُ بردنا، و رغدُ الغرامِ يبعثُ الحياةَ فوقهُ، وبسمةُ فاهها تُفجّر ينابيعَ السّلام، وبرقصتها ينبت الزّهر والكلأ، وبترانيمِ صوتها الفَجريّ، الدّمشقيّ، الياسمينيّ، تبعثُ من رحم العدم حياةً لا مثيلَ لها، وبانسدالِ شعرها اللّيلكيّ ينسدلُ خيطُ النّور المسروق من رحمِ الظُّلمة والعذاب، و بريقُ مُقلتها يستبيحُ من الضّياء حُرمةَ الشّمس ليغطّي ثنايا نورها وتُضيء

بمُقلتيها الوجود، تبّاً ماذا لو كان كل ذلك حقيقةً، ماذا سيحصل؟

لن يتغيّرَ مسارُ الأرض، أجل و لن يختلَّ توازنُ الكواكب، لكن ما ذنب تلك الطّفلةِ الصّغيرةِ الدّمشقيّةِ ألن تتحقّق بعض أحلامها؟ ماذنبها؟

وإذا الموؤودةُ سُئلتْ؟

ربّاه ماذا ستنطقُ أحلامنا الموؤدة ريثما نصبحُ بين يديك، ماذا ستكتب في جلّ صحيفتها، شكواها التي تغلبنا بذنب الحرب والبعد

دمشقيّةٌ سرقتني من تحتِ رُكام الحروب، وانتشلت جثّتي من تحتِ قذيفةٍ اثقلتْ كاهلي، بُعثت بنسيمِ الياسمينِ الرّهيبِ لأنتشي وتعودَ لقلبي الحياة، فيا لسعادة قلبي بها، ويا حبَّذا اليوم الذي نلتقي بهِ، لقد أحببتها حبّاً ليس كحبِّ ابن عجلان، ولا قيس ولا عنترة، ولا نزار، ولا درويش، ولا كنفاني، ولا قصيدة بلقيس، ولا ضرير بلادِ القارّةِ السّمراء، بل أحببتها بروحِ حبِّ زليخة وفتنتها اليوسفيّة، أحببتها بزهدِ رسالات السّماء، وطهارةِ زمزم من كلِّ الماء، أحببتها حتّى

غفى القمر فوق بريقِ بسمتها، ومات الحزن عند عتبة باب منزلها، أحببتها حتّى أحبَّ الحبُّ حبّي لها.

حفلُ انتحار

صراخُ طفلٍ بينَ أروقةِ محاكمِ الحزن، و نحيبُ قلبٍ بين أزقّةِ شوارعِ مدينةِ الحب، ودمعةٌ ملتهبةٌ تلامسُ جُدران الوجوه الشّاحبة، المُتجعّدة، وعدّة جراحٍ سكبها القدرُ، بين طيّاتها أكياسُ ملحٍ وبعض جمراتٍ مُتّقدةٍ لتتعانق في رحمِ

أحضانها، وصوتٌ بُحَّ من الصُّراخ المتواصل دون انقطاع، فجفّ رمق الصّوت واندثرَ تحت الثّرى ميتاً، ثم أقاموا عزاءه فوق جثّة النّسيان وأداةُ الجّريمة، إنّها الآن تتزيّنُ وترتدي حلّتها الذّهبيّة،و فستانٌ أبيضٌ، تتخلّلهُ بعض الرّسوم الورديّة، وتاج مُذهّب فوق رأسها، وبعض الألوان الّتي تلوّنت بها شفافها و أروقةُ محاجرِ مُقلتيها، وباقةٌ من زهورٍ اصطناعيّة تتعانقُ بين يديها وأحضانها، وخاتم خُطوبة بخنصرِ يدها، يملأ المكان أشعّةً من بريقِ اصفرارهِ الذي قتلهُ القدر بخنجزِ القِران، ولوّن دماءه بخيوط الشّمس الرّاحلة

إنّها عروسُ المقلة، وابنةُ القلب، وفِلذة الكبد، وأنين الرُّوح، إنّها دمعة مقلتي، هي العروس التي سيتمُّ زواجها وحفل زفافها، لقد شاءت أن يتمَّ تزويجها، و أهداب مقلتي تتعانق وتندمج بقرانها في غصّة القلب، إنّه حفلٌ مُؤقّتٌ، وعناقٌ مؤقّت، ثم سيخذلها القرين، والبعل الحزين، ستسير بحُرقة فوق وجنتي، تنهمرُ رويداً رويداً لتشقَّ طريقها فوق وجنتي، لتذيب كلَّ ما أثلجهُ القدر في روحي، إنّها تُعلن انتحارها الأبديّ، وموتها المحتوم، لتقف فوق مقلتي ثمَّ ترمي بنفسها

من علياء رأسي ويلتقطها شدقُ ثغري، لتموت عند حبيبها، وتحتضنهُ في موتها، تَركتْ بَعلها في ليلتهما الأولى، وذهبت لحبيب قلبها، هناك ارتمت بينَ أحضانهِ، ولفظت أنفاسها الأخيرة بينَ يديهِ، ثم سلّمت روحها البريئة لبارئها وذابت كحُبيبات الملح فوق نزيف الجّروح والقلب، إنّها ليلة الانتحار، ليلة الموت، ليلة القتل، ليلة الزّواج، ليلة الرّحيل، ليلة الموت الممزوج بنكهة الصُّراخ الصَّامت، المتلوّنة بألوان التَّعب ومساحيق التَّجميل الورديّة، لقد ماتت، ومات كلُّ شيء، كلُّ شيء ولم يبقَ سوى آثارها المُعتّقة فوق وجنتي، وبعض الذكريات الّتي جمعتها في كتابِ أيلول الحزين، و دوّنتها بصحيفة الحزن اللّئيم، وحفظتها في مكتبةِ روحي فوق رفوفِ الأنين.

ذَبيحةٌ راقصةٌ

بقايا راحلينَ مُتناثرةٌ، عبقُ ذكرياتٍ يُداعب ذاكرتي، وجمراتُ شوقٍ تُقيمُ حفلةَ شواءٍ في أعماقي، ونبعُ نبيذٍ يصبُّ من محاجرِ المآقي، و مساءٌ يحملني كأنّني نسجُ عنكبوتٍ يُراقصني فوق مسرحِ الرّاحلين، يُداعب وجنتي بقُبلةٍ ورديّةٍ لكي يتلاشى ضعف أشجاني، ثم يُداعبني مُمسكاً خصري، يراقصُ قلبي على إيقاع العشق، ليزمجر القلب مُضطرباً، وتنادي الرّوحُ بصخبٍ ما أجمل الحب ! وينصبُّ النَّبيذ فوق شفاهي ليتمضمض العشق بنبيذِ ريقِ جنوني، قُبلةً سحريّةَ تثملُ فوق الشّفتين، فتُغيّرُ تاريخَ احتضاري وموتي، لحاضرِ العشق، لتتكوّن أنوثتي بكلِّ مفاهيمِ الجُّنون الدّنيويّة

ماعدتُ أُدركُ أيَّ رقصةٍ يُراقصني ذلك العاشق المُتيّم، كلَّ لحظةٍ يقتربُ من أناملِ كفّي يسرحُ خيالي بخصوبةِ مُقلتيه، لِيرحل بي من فوقِ رُكام الفِراق إلى فسحة اللّقاء، حالةُ إغماءٍ

بنشوةِ الحب راوَدتني كأنّني بمغناطيسِ الهوى قد شُغفتُ حتّى صرتُ كأهلِ الكهفِ

نُثرَ الياسمينُ، فوق سجّادة اللّقاء، وفوق قميصهِ اختلطَ عطرهُ برائحةِ سجائره اللّعينة، تلك الغبيّة التي تُشاركني باحتضان شفتيه، تبّاً لها

يحملني فوق أجنحةِ السّعادة، ليحطَّ بقلبي عند شاطئ الخلود، ثمَّ يهمس بلهفةٍ مجنونةٍ أنّهُ يُحبّني، أعودُ فأغرق بأمواجِ جنونهِ الورديّة، ثم ارحل بذاكرتي إلى المدينة الفاضلة، تبّاً للحب كيف تخلّل قلبي، وسرقَ النبضَ من شراع قارب الأمان، تبّاً كيف يُمكنهُ أن يسافر بنا من زنزانةِ العدم إلى رحاب الخلود، وما أجملَ الحب ! ما أجمل الحب !

يُراقصني، يُسافر بي، يُغنّي لي، يهمس بأذني، ينطق بجنون غرامي، يرسم الموت وردةً أرجوانيّةً بهيامي، ثم يقتلني كأنّني ذبيحةُ اسماعيل في تكبيرات أعياد ربّي.

اخلعْ نعليكَ

قلبي، أجل قلبي، فقط هذا الذي ينظرُ إليه ربّي، يا حزنُ ما بك، كيف تغدر بقبيلة جسدي؟ من ذا الذي أباح لكَ استباحة حرمة صدري؟

أَومن شيمِ العروبةِ والأصالةِ، الغدر؟

أشيمُ الرّجولةِ الطّعن على غفلةٍ من تغريدي فوق غصنِ الياسمين؟

ما حسبتك صيّاداً تُغافلُ فريستكَ لتُرديها بغفلتها تُصارع الموت والحياة بأوج ضعفها

قف أيُّها الخائن، واستدر بمُهرتك للوراء مُتراجعاً، أجل هكذا، ابتعد قليلاً أيضاً، قف، ترجّل مهرتك، لاتقترب قيد أنملة، ويحكَ ما أفظّك ! ما أكثر وقاحتك !

الحزن : يتقهقهُ بضحكةٍ خبيثةٍ يصل صوتها لحقبة القُريشيّين المُتعجرفين قائلاً : أوتظنّني عبداً ينصاعُ لكَ لتأمره ويلبّي ما أنت طالبه، فوالله ما أطعتُ كلامكَ سوى لأرى ما تُخبّئ في جعبةِ فاك لتفرغ مافيها

هشاشتي مُنتصبة تستعيد قوّتها قليلاً لتردَّ قائلةً : أيُّها الصّعلوك، اخلع نعليكَ فأنتَ في هضبةِ صدري المُقدسّة، أنت في مرمى أحداق الرّحمن، اخلع نعليك وإلا خاطبتُ

جبروته لِتُفصل بمشيئته رأسك عن جسدك العفن، اخلعهما وتعال افعل ما أنت فاعله فلستُ أخشى في حبّها قبائل العرب والعجم من شراسة غدرهم

خلع خفّه، أبرز قوسه وسهمهُ، شدّه، و أطلقه ليسكن منتصف قلبي، نظر بمقلتين لا يبرق منهما سوى اللّؤم والحقد والخبث، فقال : أرأيت ضعفك؟

انظر مافعله سهم الفراق؟ مخطئٌ أنا كنتُ حين حشدتُ جيوش الشّؤم والوهن لتغزو هضبة صدرك اللّعينة، انزف أيُّها الحالم بالحب، وها أنا ذا خلعتُ خفّي وجئت أعبث بنياط قلبك الجريح

جرحٌ بليغٌ أصاب المنتصف مابين أضلعي، وهنت قوتي، جثوتُ على ركبتي، أشعر بدوارٍ وغشاوةٍ تطبق فوق مقلتي فقلت : اعبث ماشئت، وجرّح ما شئت، واجعل من دمي نبيذاً تحتسيه فوق خصر راقصةٍ تغريك بتراقصها لتشعر بنشوةِ الانتصار على احتلالي، ولكن إيّاك أن تنسى أنّني وهبتُ قلبي لله كي أعشقها فيه، ولا تتناسى أن الحب في الله لن يخذله القدر، وسنتقم ذات يوم مهما طال بك الزّمان، سيقتصُّ من رحم وجودك ضعفي وقتلي، وحينئذٍ إن كنت فذّاً فصارع قدري

عاد ليقهقه بضحكته التي يضجر من سماعها الإنس والجن، ملأ قدحه نبيذاً ليختمر بشربه من دمي، ثم رحل دون أن يهتزَّ جفنه لحال قلبي المهزوم، المكسور، المجروح، الباكي، الشّاكي، المهجور، المبتور، المنحور، المسحور، المقهور

طال الغياب يا حبيب القلب، كيف طاب لك اغتيال قصيدي؟

كيف تتلذّذ بنسف قلبي؟ وكيف تطبق جفنيك هانئاً لتغفو باحتضار غربتي؟

وادي قلبي المقدّس، هضبةٌ يرتمي لها نظر الإله، هو متعبٌ، وغزاه الحزن للأبد، فلا تكرموا بقلوبكم لِلُصوص الرّحيل، حذاري من هبة الرّحمن أن تهبوها لصعاليك الفراق والحرمان

ما زال قلبي يذوب كشمعةٍ أضناها سواد اللّيل بحرقةٍ، تضيء ظلامه، وتحرق نفسها ليستنير بغرفة عشقه.

علّمني مالم أعلم

سفينةُ الحياةِ، شاطئُ العدمِ، مِرساة الألمِ، قاربُ النّجاةِ، شراعُ الرّحيلِ، قبطانٌ نزيلٌ، مسافرٌ قلبهُ عليلٌ، وأمنياتٌ تكاثرت في فكرٍ هزيلٍ

أعطني يراعاً أرسمُ بصريرِ عناقهِ حروفَ الأبجديّات، و ورقةً بيضاء ما شوّهتها أناملُ العشقِ بالخربشات

عناقٌ حادٌّ بينهما ، هو يبكي، هي تحتضنُ دموعهُ في عمقِ صدرها، و هو يسكبُ آهاتَ حرقتهِ فوقها، وهي تزدادُ انصاتاً وسمعاً لعَبرات كلماته

دعوني ،اتركوني، وفوقَ رصيف الغرباء ابصقوني، هناك، هنا، ذاك، دنا، رحل، وصل، غادر، سافر، حطَّ، ارتحل، عشق، أغدق، أثقل، أوهن، جرّح، ذبح، قتل، سفك، ثم جاء يبتسم ببسمةِ الطُّفولةِ مُداعباً وجنةَ قلبي

أقمْ فوق غُربتنا جدار اليتيمين في كهف جمعتنا، وأعتق الرحيل قرباناً ليُكرمنا إله العشق بمعجزة اللّقاء، اخرقْ سفينة الألم، واضرب بسيفك شراع الرّحيل، لعلّ ما يكرهه مرآنا يخفي ما تعشقه مُقلتانا

اقتل الفراق، إنّه فتىً لقلبِ أمّهِ عاق، وقلوبنا كأبويه شيوخ، نخافُ أن يرهقنا العشق ذاك العاق، اقتله واستبح حُرمة دمه دون رهبة، دون خشية، اصمد، قاوم، قف، حارب، أشهر سيفك الفتّاك، اضرب، احسم، افصل رأسه عن جسده، ثم قف مُنتشياً، مُتباهياً، مُنتصراً، فَرِحاً، مُتكبّراً، عاشقاً، مُغرماً، مُهيمناً، تائهاً، مُتعبّداً، وانحني برحابِ مدامة الحب ثملاً، وأطلق عنان الاحتضان ببلاطِ الغرام

امسك يدي، قُدني، كن بصري، بصيرتي، حبّي، سعادتي، فلاحي، نُواحي، خذني إليك، علّمني ألّا يكون الفراق عنوان قصّة حبّنا، علّمني أن لا يغدق الهجر بنبعته ماء المُقل، فيؤرق المآقي، وتجفّ السّواقي، فتصفرَّ الوجوهُ، وتشحب الجلود، وتهزل الرّوح، ويفنى الجّسد

إلى مدرسةِ الهوى هناك خلف شبّاك الياسمين خذني، في مقعد صفّي أقعدني، إنّي طالبٌ مُصغٍ، فالحٌ، لُبّي راجح، سريع البديهة، قف فوق سبّورة الزّمن، وفي كراس التّاريخ

اكتب بلا قلم، لوّن قلوب الدّرس بلا ألم، كن أستاذي، معلّمي، مبجّلي، مُدربي، بلا تهكّم، علّمني من علمك رشداً، قليلاً، بليغاً، عميقاً، ولاتجعلني تائهاً بلا مرشد

لا فضَّ فوك، بليغ الكلام، سريع الإنسجام، كثير الأحلام، يا سيّد الأنام، يا غزالَ الغرام، يا ليلي الذي لم ينم، علّمني و زدني علماً

هناك فوقَ شاطئ العدم، اترك الفراق، فوالله قلبي لك مشتاق، وفي روحي حفلة احتراق، و السّواقي تجري و منبعها المآق

قرارُ محكمةٍ

اجتماعٌ طارئٌ، ودويٌّ صافراتِ الإنذار، وحالةٌ من الاستنفار المُحتّم على الجّنود في دويلةِ ذاتي، ونارٌ أضرمتها قاضية العشق، ومحكمة الهوى للقلبْ، والرّوح تألّمت ثمَّ تأوّهت، وتفتّت، ثمَّ طُحنتْ، سُحقتْ، احتضرتْ، تخشرجتْ، ثم ماتت

سارقاً، قاتلاً، مُجرماً يتّهمني بالهوى في محكمةِ العاشقِ، دوّن العشق شكواه فطرقوا رجال شرطة العاشق بابي، أيا

فلان تفضّل فأنت رهنُ الاعتقال، فالحبيبُ لم يتكرّم قلبهُ بالوصال

قيّدوني، أسدلوا فوق وجهي المُندهش لثامَ اللّيل، اقتادوني، عذّبوني، وفي زنزانةِ الظُّلم رموني،

عشقتها لا أدري كيف اتّفق شرقُ جنوني بغربِ فنوني، كيف كتبَ القدرُ معاهدةَ الوحدة بين مجرمٍ وقاضيةٍ، كيف عقد الهوى عهود المُحبّين بيننا

في رحابِ جلالةِ قاعتها، تلوّنت بلباسها الأسود، زيّنتهُ بدماءِ قلبي الذي عشقها، قرأتْ مضمون شَكواها، سرقة قلب، و وأد روح، وانسلاخها من عمقِ كينونتها لتمتزج بثمالةِ خمرِ هواي

نطقتْ حكمها، أصدرته، عاقبتني، آلمتني، أبكتني، خذلتني، قتلتني، شرّدتني، وفي زورق الفراق ارتحلت ثمالة قلبي

في خضم سواد العزلة لم تؤنس وحدتي، فويلٌ لقلبٍ هواه مُحَتّمٌ، و آهٌ تتّقدُ في قلب العاشقِ، فينشدُ راثياً غربتي :

لا تُذيقنّ علقم الغربة لمهج قلبي

اسكب وصال العهد بالوصلِ

أقاضية الهوى تلعثم القلب بهواكِ

بالله من ذا الذي أباحَ بقرارةِ الهوى، لتقطن روحي

صِلْ هواك بهواي،وإن فصلوه بحرقة الوصل

صعلوك اللّيل، وضيع الحانات ذاك الفراق، كيف يُنصفني؟

هواك سرقني منك إليك فسبحان خالق عينيك

وسحر عبير ثغرك أثملني بمدامة شفتيك

مقلتان سوداوتان قاتلتان، هوى القلب عليك صريعاً

لا تذرني وحيداً، جريحاً، فكلُّ العشق والشّوق إليك

اغرورقَ قفصُ المجرم بماء الحزن، وتاه الأمل لوصل يديك

إنّي هائمٌ وإن كنت هائماً، فمن يجير جنوني بأصغريك..

ضحكت، وبلهفةِ عاشق لقلبي احتضنت، بقرار الفراق طعنت، كتبت، مزّقت، ورقة أخرى عليها خطّت، كم هي سعيدة

قرار العشق بان، وللعهد صان، وللحبِّ كان، وبالعشق جنونه كان

أعلن رسميّاً ناطقاً بمحكمة الهوى، مُتحدّثاً أعلن إطلاقَ سراح الهائم بجنون العشق، وأعلن لقاءهما الأبديّ تحت منصّة الحلم، أفهم وأعلن علناً، قراراً غيرَ قابلٍ للطّعن، صرختْ، ركضتْ، ابتهلتْ، ضحكتْ، بكيتْ، ولولتْ، زغردتْ، اضطربتْ، وثمَّ بأحضاني ارتمتْ، فتغازلنا، وتسامرنا، وضحكنا، ثمَّ تركتني وارتحلتْ.

جرحُ الخريف

سهمُ الهوى، سمّ الفراق، حرقة الأشواق، لذّة العشّاق، أنينٌ واحتراق، إنّي أنتظرُ ببصيرةِ قلبي في الآفاق

خريفٌ فوقَ خريف، وبرحيلها صارَ القلبُ ضعيفاً

ترانيمُ الأشجارِ شجيّةٌ وتحتضرُ بحفيفٍ تلو حفيف

ألا ليتَ العذاب كان ضيفاً خفيفاً

ألا ليتهُ كان شبحاً لفراق لطيف

لا تفيد أدوات التّمنّي، إلّا لرحيل أفكاري من عدمِ العدم إلى واقعٍ مخيف

مازلنا نرسمُ الحلمَ بريشةِ الطّفولة، نُدخلُ ألوانها ببسماتِ أشداقِ البراءة، ثمَّ نعي أنّنا صرنا في خريفِ الشّباب، في عقدنا الثّاني صرنا كأعجازِ نخلٍ حلّ احتراقها لتُدفء اصتكاك أسناني من قرسِ بردي

هوى شهابُ الموت فاتّخذ من الصّدرِ موطناً، وزاد استعار لهيبهِ بحرقةِ الحنين، وفراق الحبيب منذ سنين

ليت فضاء السّماء يحمل جثماني، يتناقلهُ عبر عصورِ الحزن ليطرق باب قصرها، أيُعقل أنّها ستردّني خائباً؟

امتزج حلو اللّيل بطولِ مرارتهِ، وتركز المرُّ فما عدتُ أتلذّذ بطيبِ مذاقهِ

ببرزخِ هواها كنتُ بين الموت والحياة، يحملني بين طيّاته لعالم البكاء، فضاء الدّموع، وبحور النّحيب، وينابيع القهر، إنه الرَّحيل الذي طال، وتغمّد بظلامهِ مهج قلبي، فدعني أنشد لها عبق كلماتي وأقول لعينيها :

ليلُ رحيلكِ طالَ بظلامهِ فوق مُقلتي

ماعدتُ أبصرُ في الظّلام دواة حبري

سكنت، ولوهلةٍ أخذ يُنشد لحبّها قلبي

و ولولَ الصّدرُ بضجيجِ الأشواق في مُنتصفِ ليلتي

كثكلى ولولتْ ولطمتْ وناحتْ لفراق فلذة كبدها

أيا غائباً بعيداً قريباً هل لي من وعدٍ لُلقياك عند مدفأتي

شتائي راقصَ كياني ارتجافاً فمن يُسكنُ ارتجاف خفقي

خريفٌ و هشاشةٌ و وهنٌ أصابَ أعصابَ جسدي

شوقاً لكِ يشدو بُلبل عشقي

يا غائباً، ألا ينجلي ليلُ الفراق بصُبح لقائي

ألا ينبلجُ الفجرُ من شفقِ غربتي؟
إنّا لمُنتظرون، وللُقياك انفطر قلبي
طبّبي جرحي الغائر، طبّبيه بسحر هواكِ يا طبيبة جرحي.

في منتصف كل شيء احتضارٌ من نوعٍ آخر وفي غفوة حلم قرار محكمة وحرقة في الروح من هي....شهيدة قلبي لكن قاتلها يعتذر.. هو مريض الرحيل وعجوز الشباب..اتهمت بوصب الروح ..في حفل انتحار انها ذبيحةٌ راقصة.. والدليل هو دليل الحيرة.انت ...ياجرح الخريف لا تكن عاقاً لقلبي.. اخلع نعليك وعلمني ما لم اعلم من خزامى الموت.

خزامى الموت

آلافُ الزلازِل، وَمِئاتُ البَرَاكين، غُمُوضُ بَرَمُودا بِأَكمَلِهِ يَستَرِقُ جَوفِي بِرِفقَتِهِ تِلكَ الزلازلُ وَالبَرَاكين،، لَقَد امتَصَّ قَلبي كُلَّ ضَرَبَاتِ القَدَر بِكُلِّ طيبةٍ وَصَفاء، مازالَ يَنبِضُ بِكُلِّ الوُجُودِ لَعَلَّ ذاتَ يَومٍ يُشرِقُ بِمَا يَليقُ بِنقائِهِ وَصَفائِه، في كُلِّ يَومِ يَبزغُ فَجرُهُ يَكونُ هُناكَ مَجزَرَةٌ جَديدَةٌ في رِحابِ قَلبي، تَمُرُّ لَيلَتي بِضرباتٍ هائِلَةٍ تَستَبيحُ كُلَّ أعضاءِ جَسَدي بِجُروحٍ بَليغَةٍ تَذرفُ نَزيفَهَا في بُزوغِ الصُبحِ عِندَ أَوَّلِ حَبّاتِ النَدى.

اليومَ من جَديد يُعلَنُ جَوفي افتِتاحَ مَقبَرَةٍ جَماعِيَّةٍ في صَدري، رُؤوسٌ مَقطوعَةٌ، أَشلاءٌ، جُثَثٌ مُتَعفِّنَةٌ، وَكُلُّ ذلِكَ يَجِبُ دَفنُه، إِنَّها مَقبَرَةُ الأحلام، وَشَواهِدُ السلام، وَثَرَى الآلام، رَسميَّاً تَمَّ إِعلانُ تَشييدِ أوَّلِ مَشفى يُطَبِّبُ جُنُونَ الحُلُمِ الذي يُصيبُ راياتي المُستَسلِمةَ لِنَبضِ الخَذلان، ياحَسرَةَ قَلبي مَا مِن طبيبٍ حاصِلٍ عَلَى إِجازَةٍ في تَطبيبِ ذاكَ الداء، إذاً فَتِلكَ المُستشفى لا حاجَةَ لِي بِها.

مَذبَحَةُ أحلامٍ قائِمَةٌ في بَحرٍ مُتَموّجٍ بِكُلِّ شراسَةٍ، بِقوَّةِ شابٍّ خانَهُ الحُلُمُ في رَيعانَ الرَبيعِ، وَضَرَبَهُ إعصارُ تسونامي الذي لَم يَسلَم مِنهُ شَيء.

في عُرُوقِ الرِئَتينِ وَشعائِرِها الدَمويَّةِ آلافُ العَبَرَاتَ التي تَضجُّ اختِناقاً في ذاتي الداخِليّة.

إِنَّها مافيا الموساد الخَذلانيّ التي تَقُومُ بِاغتِيالِ قَصيدَةِ الأَمَل، وَتُفخِّخُ قِطارَ المَسيرِ نَحوَ المُستقبَلَ بِعبوّاتَها الناسِفَةِ لِتُفَتِّتَ صخرَ الإرادَةِ والتَصميم، عَشرَةُ آلافِ مُسلَّحً يهجمونَ في عُمقِ الليلِ بِسيفِ الخِذلان، يتسابَقونَ بَكُلِّ قُوَّةٍ لِغَرزِ أولى ضَرَباتَهم في هَشاشَتي ضِمنَ زَمَنِ الخريف، لابأس..

من كانَ يَسيرُ في المقدمةِ لابُدَّ أن يُطعَنَ مِنَ الخَلف، دائِماً خَنجَرُ اليأسِ يَسيرُ الغَرزِ في خاصِرَتي، لَقَد اعتادَ ذلِكَ الخَنجَرُ أن يَكونَ غِمدُهُ في نِقاط الضَعفِ مِن جَسَدي.

إِنَّها رائِحَةُ الخُزامى التي اغتالوها في عُمرِها الوَرديّ، امتَزَجَت بِرائَحَةِ الدَمِ الذي خالَطَهُ نَسيمُ البارودِ والمَتفجِّرات، لَقَد بِتُّ أتَقَيَّأ الآنَ كُلُّ أحلامي من عُمقِ الرِئَتين، مِن رَحِمِ الفِكرِ المُضطَرِبِ بِجُنونِ العَظَمة، لِذلِكَ الآنَ وَجَبَ إرسالي إلى مُستشفى ابن سينا أو ابن خلدون، أو رُبّما وَجَبَ إرسالي

إلى عالمِ البَرزَخ، هُناكَ لِأحيى بِحُلمٍ جَديدٍ، وبياسَمينَةٍ جديدَةً جُذُورُها مُتأصِّلَةٌ في عُمقِ قَبري، لا بُدَّ من إتمامَ المَسيرَةِ الخالِدَةِ بِروحِ المَوتِ قبلَ روحِ الحياة، هكَذا سَأبدَأ، وَسَأُتابِعُ مَوتي بِروحِ المَوتِ كَي لا أَموتَ مُجدَّداً، فَقَط سَأحيا من قَلبِ المَوتِ كَي لا أَموت.

الخاتمة

في شهر فبراير من عام 1994

وفي ليلةٍ شتويةٍ يتحجر قمرها من أزيز النسمات الباردة

هناك وعلى سريرٍ ضبابيٍ في أقسى الشرق..كانت تحكي له حكايةً من حكايات ألف ليلة وليلة.. جسمها البلوري يتبقع زرقةً من وقع كفوفه الجبارة... ياله من مزاجي ، نعتها بالكذب ثم تمتم لها ببضع كلمات لم أفهمها..

نهضت هلعةً لتقتلعني من أحشائها برعبٍ حطم عظام قفصي الصدري،

لم التقط أولى أنفاسي حينها، رمتني على قارعة الأجنة المجهضة.. اقتلعتني من حجر حنانها إلى صرير الخارج المزعج..

في تلك الليلة اشتد مخاض حزني ليلفظني شؤماً ومسخاً مسلوب الروح والفؤاد، عقيم المشاعر، ملعوناً أينما حللت..

في تلك الليلة بدأت رحلتي التي شاركتكم أياها... والآن نحن على متن قاربي الهزيل الضائع في غياهب البحار البعيدة نبحث عن شطآن الأحلام المذبوحة..

الفهرس

الإهداء.....(١)
المقدمة.....(٢)
دليل الحيرة.....(٤)
في منتصف كل شيء.....(٨)
احتضار من نوع آخر.....(١١)
وصب الروح.....(١٤)
قاتلها يعتذر.....(١٦)
مرض الرحيل.....(١٩)
من هي.....(٢٣)
شهيدة قلبي.....(٢٦)
أنت..... (٢٨)
عجوز الشباب.....(٣٢) حرقة في الروح.....(٣٥)

غفوة حلم.....(٣٨).....

حفل انتحار.....(٤٢)

ذبيحة راقصة.....(٤٥) اخلع نعليك.....(٤٧)

علمني ما لم اعلم.....(٥١)

قرار المحكمة.....(٥٤)

جرح الخريف.....(٥٨)

خزامى الموت.....(٦٢)

الخاتمة..... .....(٦٥)